العراق
الأقلام
العدد رقم 8
1 أغسطس 1980

كتب

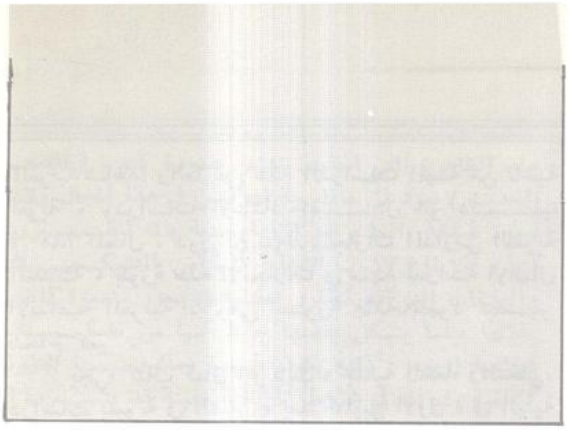

جدلية الخفاء والتجلي

دراسات بنيوية في الشعر

تأليف : د. كمال ابو ديب
عرض : عبدالله ابراهيم

خلال ربع القرن الاخير ، طفت الابحاث البنيوية كمنهج لدراسة الفكر الانساني باشكاله المتعددة ، ولم تقتصر هذه البحوث على العلوم الانسانية ، وانما شملت العلوم الطبيعية . ويبدو من هذا الانتشار الواسع للبنيوية ، وشموليتها في البحث كمنهج نقدي جديد ، انها ذات قدرة كبيرة على الاستفادة ، ليس من معطيات العمل الابداعي فحسب ، بل من خلفيات العمل الابداعي ، بما في ذلك البنى الاجتماعية ، والنفسية ، والاقتصا ـ سياسية .

ولقد كان لكلود ليفي شتروس « Claude Levi-Strauss » باعتباره زعيما للبنيوية ، دور كبير في تجميع الجهود المتناثرة التي قامت بها مجموعة من الدارسين ، وعلى راسهم ف. دو. سوسير « F. de Saussure » في مجال اللغة ، اضافة الى كشوفات علم النفس في مجال اللغة ، ومناهج الجدل المعروفة ، التي تؤكد وثق العلاقات المتبادلة بين العناصر . ولقد تضمن كتاب شتروس Stractural Anthorpology ، ثلاث دراسات وملحق ، يدرس فيها شتروس اللغة من خلال منهج بنيوي . والحقيقة، لاتغفل ابحاث زعيم البنيوية هذا في مجال الانثربولوجيا، خاصة دراسته المعنونة « الدراسة البنيوية للاسطورة » « Stractural Study of Myth التي يتجلى فيها هذا المنهج ، ولقد استفاد مؤلف هذا الكتاب ، من دراسات شتروس بصورة عامة .

وفي الفترة الاخيرة ، كثرت الدراسات البنيوية في مجال اللغة ، كثرة ملحوظة ، ويقودها الان علمان هما :

تشومسكي « Chomsky » صاحب المدرسة اللغوية المعروفة بـ « النمو التوليدي » والذي اوجد ما اسماه بـ « المعنى العميق والمعنى الظاهري » للجملة. وورومان ياكوبسون « R. Jackobson » .

ويزعم ان البنيويين استفادوا كثيرا من التقدم العلمي ، فانهم في مجال اللغة ، استفادوا بالدرجة الاولى من المناهج اللغوية الاوربية نفسها .

ولذلك جاءت ولادة البنيوية منسجمة ومفهوم التقدم الحضاري في الغرب .

والغريب حقا ، ان الدراسات النقدية العربية القديمة ، بدات من اللغة . ومعروف ان النقد العربي كان لغويا في بداية امره ، مذ كان شعويا ، وبقي كذلك لفترة طويلة ، تعد محاولة عبدالقادر الجرجاني ، خاصة في كتابه « اسرار البلاغة » محاولة متقدمة جدا في ايجاد منهج نقدي لغوي ، الا ان هذه المحاولة وئدت في مهدها ، ولم نجد عبر هذه القرون الطويلة من يتقدم لبعث جهود الجرجاني تلك . وكما يشير مؤلف الكتاب ايضا ، تعد محاولة الجرجاني معاصرة ومتقدمة كثيرا على المناهج اللغوية الحديثة .

ولاشك انه توجد محاولات اخرى في هذا المجال . الا انها اقل شانا من جهود الجرجاني ، يحسب اصحابها على مدارس النحو التقليدي ، وعلى راسهم الزجاجي «ت ٣٣٧ هـ » .

وتجيء الان محاولات بعض الدارسين العرب ، في البحث عن مكانة لائقةلها قام به نقاد العرب القدامى، التفاتة كبيرة لبعث الاهتمام بتلك الجهود ، وتعد بحوث الدكتور عبدالسلام المسدي في مجال الاسلوبيات عند

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العرب شاهدا رائعا على هذه الدراسات المهمة من ناحية لغوية ، ودراسات الاستاذ كمال ابو ديب في هذا المجال ، دون ان يترك انجازات المدارس اللغوية الحديثة ، بلورة هذه الانجازات في منهج لدراسة الاعمال الابداعية العربية . وهي بصورة عامة جهود تبشر بنجاح كبير .

يجيء كتاب كمال ابو ديب « جدلية الخفاء والتجلي، دراسات بنيوية في الشعر » بعد كتابين الاول « في البنية الايقاعية للشعر العربي » الثاني : Al-Jurjanis « نظرية الجرجاني في الخيال Theory of Poetic Imagery الشعري » الصادر بالانكليزية في لندن هذا العام . اضافة لدراسات متفرقة باللغتين العربية الانكليزية في مجلات جامعية متخصصة .

ان كتاب «جدلية الخفاء التجلي » يعد بحق، وسط كثيرمن الدراسات النقدية الساذجة والسريعة ، كتاب فذ . لانه يعتمد منهجا نقديا موضوعيا وجديدا . في الفكر الانساني وظواهره . ومن ناحية اخرى لانه يطرق ابوابا مغلقة لازال النقد العربي غافلا عنها ، اذلم نقل انه عاجز عن التوغل فيها ،واستنباط معطياتها .

وقبل عرض محتويات هذا الكتاب، لانغفل ان نشيد بالقدرة الكبيرة عن الباحث في التتبع والبحث المدهش عن العناصر المكونه للنص ، ودوافعه ،ومحاولة اجلاء العلاقات الخفية التي تتحكم ببنية النص ، وكيفية الغور لاجل اكتناه الاسس التي تستند عليها هذه العلاقات ، لاجل ان تتمحور حول قطب واحد او اكثر . حيث يعد ذلك ، الباحث : الجوهر الخفي المدهش الذي لابد من استشفافه ، والا بقي النص دون اي فعل . انه لايقف امام النص كشيء مجرد ، وانما يزيح ستائره الرقيقة ، ليوقد من جديد جوهر النص الشعري. وليس من الغريب ان يعتبر البعض ، ان جهود الباحث ـ في بعض الاحيان ـ لاجدوى منها ،في متابعته ـ مثلا ـ لاصل فعل ما ، او حرف جر ، او اشارة عابرة . وانما ذلك يرجع كما اعتقد لكثرة الدراسات التي كانت تسخر بمثل هذا الامر . وتغض النظر عنه . لاعتقادها انها بتناولها جوهر النص ـ كما تراه ـ تفعل كل شيء ، ان الامر غيرذلك ، لان الدهشة التي يبعثها النص في المتلقى ، وقوة فعله الجمالي ترجع الى تزاوج وتكاتف اجزاؤه معا ، بما فيذلك اصغر جزء في النص ، وعملية الخلب تجيءمن ان هذه العناصر تحيد عن فعلها المعتاد ، لتشق طريقا لها تصدم المتلقى ، وتثير دهشته . والشعر دهشه ـ كما يقول ارسطو ـ ومن هنا فان الباحث يحاول اجلاء هذه العناصر في بحثه، ويعطيها اهمية قصوى ، مثلما تشكل هي في الحقيقة دورا مهما في موقعها كجزء فعال في النص ،ومن هنا جاء عنوان الكتاب ـ كما نعتقد ـ

قسم هذا الكتاب الى قسمين رئيسين: ابعاد اولى، ونحو منهج بنيوي فيتحليل الشعر .

في القسم الاول ، الذي يتكون من اربعة فصول ، يحاول الباحث ان يقدم دراسة نظرية ـ تطبيقية فيالعمل الابداعي ،مع انه يشير الى انه ليس من المهمان يقدم الاسس النظرية للمنهج البنيوي ، بينما يقدم في القسم الثاني دراسة تطبيقية صرفة لنصوص من الشعرالعربي القديم ، والحديث .

في الفصل الاول يتناول بالدراسة المتعمقة ،الفاعلية المعنوية ، والفاعلية النفسية للصورة الشعرية ،وتشكل الخلفية التي يعتمد عليها في هذا الفصل كتاب الجرجاني المشهور «امور البلاغة »ويذكربشكل خاطف ان الدراسات الاوربية منذ ارسطو حتى كولريدج « Coleridge » لم تعط للصورة الشعرية سوى قيمة خارجية . الى ان جاءت بعض الدراسات المعاصرة ، مثل دراسة ادموند هوغيت « Edmond Huguet » عن الصورة الفنية عند الروائي الفرنسي فيكتور هيغو ،ثم بحوث ادفيك كونراد Hadvig Konard » التي حاولت ايجاد مايسمى «محكات بنيوية» في الاعمال الابداعية للوصول الى كشف تام للبنى المتشابكة في الصورة ويعتبر جهود كونراد هذه مجرد اسئلة ، طرحها الجرجاني منذ عشرة قرون واجاب عليها ايضا، حيث اعطى هذا الناقد الفذ للصورة دورا كبيرا باعتبارها العنصر المهم والحيوي الذي يجسد غنى التجربة الشعرية . ويؤكد ان غرض هذه الدراسة كغرض الجرجاني ، لانهما يبحثان « عن الفاعلية الشعرية بكونها المطلق ،باعتبارها اولا عملية خلق فيالذات ، ثم ثانيا ، عملية انحلال ،وايقاظ .وكشف واضاءة على المستوى الاخر ،المتجسد بالمتلقي ص ٣٦» .

ويقرر ان سبب الاهتمام الكبير للنقد الحديث بالصورة الفنية ،في الادب عموما يرجع الى الدراسات النفسية المكثفة فيهذا المجال ،ويستشهد بدراسة سبيرجن Spurgeon » للصورة عند شكسبير على ذلك ، ثم يخصص معظم هذا الفصل لدراسة الفاعلتين المذكورتين للصورة . ويؤكد ان الفاعلية المعنوية وظيفتها ايصال اما الفاعلية النفسية فهي تعبر عن حالة وجودية جمالية للشاعر لحظة قوله ، ويتناول ذلك عند شعراء كثيرين مثل :

ابن المعتز، والنابغة الذبياني، والشريف الرضي واودنيس ، ولوركا وشكسبير ، ويعد هذا الفصل مهما لانه يحاول تأسيس نظرية تطبيقية ،ويأخذ بنظر الاعتبار مكونات عديدة تطبع الصورة الشعرية ، بطابع معين ، ويتوضح ذلك خاصه في النموذج المختار لابن المعتز ، وفي ختام ، الفصل يشير الى الدور العضوي للصورة الشعرية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويأمل تطوير هذه الدراسة فيما بعد ، خاصة في الفصول التالية ·

في الفصل الثاني المعنون «في الفضاء الشعري ، البنية والتصورات المتخللة : دراسة في فضاء القصيدة » يدرس الباحث التفاعلات العميقة بين الصورة الشعرية بمعناها لسيكلوجي والوظيفي ، ويؤكد على الانسساق البنائية المتقاطعة في القصيدة ، اذ انها تشكل مايسميه «بؤرا انفجارية » تسيطر على حركة القصيدة ، ان هذه التفاعلات تخلق انطباعا ـ يلعب انبعاثه في الشعر دورا اساسيا في خلق الطبيعة الحسية للقصيدة من جهة ، وفي تشكيل انساق بنيوية تتحرك على مستوى اعمق من مستوى الدلالات اللغوية والايقاعية الواضحة من جهة اخرى ـ٦٤ » ·

ويتتبع هذه التفاعلات مبينا دورها كعنصر في اغناء القصيدة ، واضفاء حركة متوازنة تتمحور حول بؤر معينة ، في نصوص متعددة تتراوح بين الرثاء والغزل ووصف الخمرة والتصوف· وقد اختار هذه النماذج لشعراء منهم ، تميم بن مقبل ، وعمر بن ابي ربيعة ،وابن الرومي وغيرهم·

ويؤكد من خلال تحليل هذه النصوص على ثنائية الصورة ، وماتوحيه وعلى خاصيتي الانغلاق والانتشار ، حول هذه المعاني · ويأخذ هذا الفصل طابعا تطبيقيا في دراسة نفس الظاهرة، ومن خلال نصوص متعددة ·

وفي الفصل الثالث : «وحو قوانين بنيوية لتطور الايقاع الشعري ،ظواهر في الشعر الحديث ـ انه يركز على قضية ذات اهمية استثنائية هي ظاهرة الابدال في البحور وحيدة التفعيلة ، خاصة المتدارك والمتقارب ،وما يحدث من حركات انتقالية فيها كانتقال تفعيلة المتدارك ودخولها في بحر المتقارب ·ان الباحث يشير الى ان التحول الذي طرأ على الشعر العربي هو تحوله عن البحور الممزوجة التفعيلة «اي التي تتشكل بحورها من تفعيلين مختلفين مثل الطويل والبسيط ···الخ» وتركيزه على البحور ذات التفعيلة الواحدة ، وقد ادى هذا التحول الى خلخلة التفعيلات ،وتطويرها ، وذلك بادخال تفعيلات جديدة عليها ،ويبين ان الخليل ، واضع العروض يصر على امتناع توالي وتدين مجموعين في اوزان الشعر العربي ، فكيف اذن تفسر عملية مجيء « فعولن ـ ـ ـ ٥ ـ او ن ـ ـ » بعد «فاعلن ـ ٥ ـ ـ ٥ او ـن ـ» ·

ثم لماذا لاتأتي «فعولن» بعد «فعلن ـ ـ ـ ٥ او نن ـ» مع انها تعادل دور ـ فاعلن ـ الايقاعي في العروض ،ثم ان الامر لايقف عند حدود انتقال تفعيلة واحدة من بحر الى اخر ،وانما يؤسس جزء كامل من القصيدة اومقاطع منها على هذه التفعيلة الجديدة ، مع ملاحظة مهمة جداهي هذا الامر لايحدث في المتقارب· اي لاتتحول ـ فعولن ـ الى ـ فاعلن ـ ويقرر في ختام هذا الفصل ان سبب هذه الظاهرة التي اخذت تنتشر بصورة كبيرة في الشعر الحديث لايعود الى ماقام به ادونيس في هذا المجال ولاهو مجرد صدفة ،انما يرجع الى مايسميه بانه الضرورة لتطور الايقاع لان ـ الايقاع شبكة من التشكلات والعلاقات التي قد تتبلور بعضها في بحور متميزة قائمة بذاتها بينما يشكل بعضها جزءا كميا من تشكلات ايقاعية اوسع ، لكنه يكون طبيعيا ومألوفا للاوزان المتلقية ،ثم انه في شروط تاريخية معينة قد يتسرب الى تشكلات ايقاعية اخرى تمتلك بنيتها بعضا من خصائص التي كان يؤلف هوجزءا منها ، ويتأسس في البنية الايقاعية في مواقع جديدة مشكلا علاقات جديدة ـ ١٠٤ـ ١٠٥ـ ـ ، ويعتقد ان ذلك يتم في شروط تاريخية ، ارتبطت بتطور الشعر الحر · والتركيز على البحور وحيدة التفعيلة ، حيث حدثت هذه الظاهرة ويستشهد بنماذج كافية ، لتوضيح هذه الظاهرة ، منها قصيدة ـ الدهشة االاخيرة ـ لادونيس ، وقصائد لممدوح عدوان وعلي الجندي ، ويطلق في خاتمة الفصل حكما يفهم منه يفهم منه انه قابل لان يكون عاما في تفسيره بنى الثقافة والحياة الاجتماعية ، وتحولاتها ،اذا درست بعمق وفق ظروفها ودوافعها ·

والفصل الاخير من القسم الاول يتناول فيه الانساق البنيوية Structured System في العمل الابداعي حيث يتناول هذه الظاهرة في الخرافات ··الحكايات الشعبية ،وقصص الاطفال ،وعمال ابداعية فردية ،وتظهر تاثيرات شتروس ، خاصة في دراسته المشهورة لبنية الاسطورة ،في هذا القسم · ويذكر ان مايريد بحثه بصورة خاصة ، هو مايسميه ظاهرة الانساق ،التي اهملتها الدراسات النقدية الحديثة ، وكيفية تشكلها وانحلالها ·وفي معرض تشخيصه لهذه الظاهرة ، يبين ان ماقام به هو تطوير لمابحثه اومان ياكوبسون ، حيث درس الاخير تشكل النسق فقط ، بينما اهمل انحلاله ، فيما يضيف كمال ابو ديب بان تشكل النسق نابع من علاقات موءثرة في بنية النص ، وتتم الضربة المدهشة الخلابة في عملية انحلاله ، ويتبع هذه الظاهرة في خمس حكايات شعبية ، وقصيدة ، وينتقل بعدها لدراسة ظاهرة اكثر اهمية هي ظاهرة الانساق الثلاثية ،وبين ذلك في دراسة لنصوص قصصية لزكريا تامر وهاني الراهب ، ثم يطور موضوعه اكثر في دراسته لتشغل ثلاثة انساق وانحلالها معا · ويؤكد ان هذه الظاهرة ـ جذرية في كل نشاط فني ، سواء كانت منابعة جماعية او فردية تصدر عن عنصر الفن والوعي ـ ١٢٦ » . ان الحقل الخصيب ، لدراسة تشكل الانساق الثلاثية وانحلالها هو حكايات : « الف ليلة وليلة » وحبذا لوتناول هذا الاثر المهم بفصل خاص ، ضمن الدراسة التشخيصية المهمة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي القسم الاخير من هذا الفصل ، يدرس نفس الظاهرة ، في نماذج شعرية من الشعر الاوربي،والغربي لشعراء منهم ، عمر الخيام ، فايز خضور ، ومحمد عمران . ونموذج مترجم للشاعر التشيكوسلوفاكي فلاديمير هولان « F. Holan » والحقيقة انه في هذا القسم من الدراسة يصل لذات النتائج السابقة ، وبرغم ان هذا الفصل كان تشخيصا ، الا ان الباحث في لصفحة الاخيرة ، يدرج الاسباب التي يراها موءثرة في تكوين النسق الثلاثي وهي

١ ـ نسق الابعاد الثلاثية في الهندسة الاقليدية ، وطغيان مفعولها على الفكر الانساني عامة، خلال قرون طويلة .

٢ ـ نسق الوحدات الثلاث في المسرح الكلاسيكي « وحدة الزمان ووحدة المكان ، ووحدة الحدث».ولقد كان لهذه الوحدات دور كبير طبع الفن المسرحي ،منذ عهد التاليف الاول عند الاغريق ،مرورا بالقرون الوسطى ، ولحد الان . بطابع معين ، هو ما اصطلح على تسميته بـ «الوحدات الارسطية » .

٣ ـ نسق الثالوث المسيحي ، الاب الابن ، والروح القدس ان مفهوم . التكاملية هذا في الفكر المسيحي، في جوهره الى وقت قريب ، كان خاضعا لهذه الثلاثية ولاشك ان لتشدد الكنيسة تجاه تعميم مثل هذا المفهوم ، خصوصا في القرون الوسطى ومقابل فترة الاصلاح الديني ، اثر مهم في صيغ التعبير وانماطه

٤ ـ نسق الثالوث النفسي عند فرويد ، وهي مكونات الجهاز النفسي : الانا ، والانا العليا ، والهو .

واقدم هذه المكونات هو «الهو» ويحتوي على كل موروث منذ الولادة وكذلك ماهو جزءاساس في الجسم ، ويوءكد فرويد انه تحت المؤثراتالواقعية تكون جزءخاص من ـ الهو ـ واصبح وسطيا بينه والعالم الخارجي هو مايسمى «الانا» ويقوم بمهمة حفظ الذاتايضا ، اما الرادع لرغبات الانا ، فهي « الانا العليا » التي تمثل سلطه الوالدين ، والتقاليد الاجتماعية ، وهو مايعرف بالضمير .

٥ ـ النسق الثلاثي في البنيه الطبقية للمجتمع ، والذي اتفق على ان يتكون من ثلاث طبقات ـ عليا وسطى ، دنيا » .

٦ ـ النسق الثلاثي المتضمن التفسير الجدلي للتاريخ ، حيث يفترض هذا المفهوم تصور ثنائية اساسية ،وبعدا ثالثا ، ينشأ من العلاقة بين الطرفين.

يتألف القسم الثاني من الكتاب ، من فصلين ، هما الخامس والسادس . وفي هذين الفصلين التطبيقيين ينحى الباحث اكاديميا فيتحليله للقصائد المختارة .

في الفصل الخامس يقسمه الاول ، يدرس ثلاثة نصوص شعرية لابي نوءاس . ويحاول في كل قصيدة اجلاء ظاهرتين متناقضتين في بنية القصيدة ،يدعوهما بحركتي الاطلال والخمرة . ويظهر ابو نوءس كمجدد فيكيفية هجره لعالم الاطلال الذي يوحي بالاندثار ،ومن خلال التحليل البنيوي تظهر حركة الاطلال ذات فعالية مقصودة ، يحاول الشاعر ان يدمرها ، في كل حركة ، باعتبارها تجسد عالم الموت ، وعالم القحط المنهار . على لضد من ذلك يوءسس هذا الشاعر عالمه الشعري على الخمرة ، ومفعولها . باعتبارها المناخ الجديد الذي يستوعب قصيدة العصر ، ن اكتشاف العلاقة التضادية ، بين هاتين الحركتين، يبين كيف ان ابا نوَاس قد اسس صرح شعره على عالم خمري ، وفي تحليله لحركة الخمرة يكتشف انها تستحوذ دائما ـ في النماذج الثلاثة ـ على الجزء الفاعل الاعظم في القصيدة، كما ان هذه الحركة ذات فعل طاغ حيوي وهام ، حتى ان افعالها وصورها تشع بالحياة والحركة ، على نقيض حركة الاطلال لتي لاتحتل الا دورا ثانويا ، والشاعر يقف بالضد لهذه الحركة ،ثم لاجل ان يوضح اكثر هذه العلاقة التناقضية ، يتناول البنية الايقاعية لكل حركة ليثبت ان حركة الخمرة تمتاز بايقاع راقص وحيوي . بينما يعم الخمول حركة الاطلال ،وتسيطر عليها صفة الجمود ان حركة الخمرة، هينفي واثبات في نفس الوقت نفي للحركة المضادة باعتبارها متخلفة عن روح العصر . واثبات لها كحركةتستوعب فعل الزمن الحاضر ، وهو ماتاسست عليه القصيدة العربية في العصر العباسي .

كما ان الباحث يخصص بحثا قيما لدراسة رائية لابيتمام ، ويلتزم نفس المنهج السابق ،ونفسالغاية . الا ان كثافة هذه القصيدة ، لتي تعتبر بحق نموذجا لشعر ابي تمام في مدى براعته في استثمار العلاقات التي تولدها المجازات ، تجعله يطيل بدراسة هذه القصيدة ، واجلاء العلاقات الفنية ، وصور المجاز المتشابكة والمعقدة التي تشكل لحمة القصيدة . ان الشاعر ،وعبر المقارنة بين الربيع والمعتصم استطاع ـ كما يوءكد الباحث ـ ان يجعل هذه القصيدة تتمحور حول فاعليه الزمن ، واستشراق افاق المستقبل ، ولايكتفي بذلك انما يدرس الثنائيات المتضادة ،التي تغمر القصيدة بقوة الفعل ، والوثبات الشعرية المتتالية ، يبين ذلك مكانة الشاعر فيالشعر العربي ، وكيف انتقاد عصره تجاهلوه لفترةطويلة .لانه لم يوءسس قصيدته على الموروث الشعري المعروف ، ونما حاد عن والطريق بتكثيف قصيدته ، والتركيز على قدره ضمنالحركات المتواشجة فيقصائده وفي الفصل الاخير المعنون :ـ الالهة الخفية ـ يحاول مؤلف الكتاب ان يقدم نظرية بنيوية للمضمون الشعري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبرغم ان ذلك يبدو من مهام اشاعر الا ان المؤلف يضع بعض العلامات المهمة في هذا المجال. ويختار نموذجا شعريا لادونيس ، ليطبق مفهومه ، النص « كيميـاء النرجس ـ حلم » . حيث يدرس القصيدة من جميع جوانبها الفنية والمعنوية ، ويقسمها الى ثلاث حركات اساسية حيث يتضاد فعل كل حركة مع فعل الحركة الاخرى . وتنعكس هذه الحركات جميعا لتشكل البنية التكوينية للقصيدة ،ثم يتناول بعد ذلك الانساق اللغوية في القصيدة ، موضحا اياه بالاستعانة بمخطط تشجيري ، متتبعا خطى لتشومسكي فيما يدعوه بـ « النمو التوليدي »

ويختم الفصل بدراسة البنية الايقاعية للقصيدة .

ولئن يقوم هذا الكتاب ،بالانجاز المهم المتسم بالقدرة على الملاحقة ،واكتشاف العلاقات الخفية التي تكون الاعمال الابداعية ، ويجيء جديدا وجادا في البحث موءسسا منهجا جديدا ، ومن هذا المنطلق ، ليثبت الموءلف في مقدمه كتابه قائلا ـ ان طموح هذا الكتاب ثوري تأسيسي ، وفي الان نفسه رفضي ـ٨ ـ وهو ايضا « يهدف الى اكتناه جدلية الخفاء والتجلي ، واسرار البنية العميقة وتحولاتها ، طموحا لا الى فهم عدد محدود من النصوص ، او الظواهر في الشعر والوجود ، بل الى ابعد من ذلك بكثير الى تغير الفكر العربي في معاينته للثقافة والانسان والشعر ـ٨ ـ واذ بلح كثيرا : الى على البنيوية كمنهج في بحثه لانه يراها «تثوير جذري للفكر وعلاقته بالعالم ،وموقعه منه وبازائه. في اللغة. لاتغير البنيوية اللغة ،في المجتمع ،لاتغير البنيوية المجتمع ، في الشعر ، لاتغير البنيوية الشعر .لكنها ، بصرامتها ، واصرارها على الاكتناه المتعمق ،والادراك متعدد الابعاد ، والغوص على المكونات الفعلية للشيء والعلاقات التي تنشأ بين هذه المكونات ، تغير الفكر المعاني للغة والمجتمع والشعر وتحوله الى فكر متسائل ، قلق ، متوبث ، مكتنه ، متقص ، فكر جدلي شمولي في رهافة الفكر الخالق وعلى مستواه من اكتمال التصور والابداع ـ٧ـ » . فانه ايضا يقع ببعض الهنات ـ التي لاتقلل من قيمته ـ ولكن كان يجب تجاوزها ، وتجنب الوقوع فيها ، خاصة في مثل هذا البحث الجاد .

واهم مايمكن ملاحظته :

١ ـ ان الباحث كان يكرر خلال صفحات الكتاب ، ولعدة مرات ، ميزات المنهج البنيوي ، وقدرته وحدة فقط على كتشاف العلاقات المتشابكة التي لايمكن اجلاءها ، وهو بذلك يسفه ضمنا مذاهب النقد الاخرى . ومع اننا نتفق مع الموءلف بان المنهج البنيوي استطاع بالفعل الوصول الى نتائج باهرة في تحليلاته ، واستنتاجاته المبنية على فهم خلفيات العمل الابداعي ودور عناصر تكوينه ، الا انه لايعني ان نسد الابواب بوجه المحاولات النقدية التي تبحث باساليب ومناهج تختلف عما خطه المنهج البنيوي لنفسه ، وربما تصل الى ذات الاستنتاجات .

٢ ـ في دراسته للانساق البنيوية ـ الفصل الرابع ـ جاء التحليل تكرارا لتحليل النموذج المدروس في بداية الفصل من ناحية تشكل النسق وانحلاله ، ونفس الامر في دراسة ظاهرة الانساق الثلاثية ، ان تكرار هذا التشخيص فقط لاالتحليل ، في عدد من لنصوص ، يعني دون شك ان هذه النصوص ذاتها لاتملك الخصوصية لتامة ، فلابد لكل منها من اختلافات ، لقد اغفل الباحث هذا لجانب ، هذا من ناحية،ومن ناحية اخرى ان في معرض تفسيره للانساق الثلاثية ، ارجع اسبابها الى انجازات الحضارات القديمة التي ترعرت فيها الاساطير والحكايات الشعبية ، محتوية على انساقها قبل وجود المسببات المذكورة اصلا . ثم ان المنهج البنيوي نفسه في تفسيره للاساطير يعتقد انها ذات منبع واحد او ذات اصول بنيوية نموذجية واحدة

٣ ـ في دراسته لظاهرة الثنائية ، كما جاء في الفصل الثاني ، تتكرر نفس الاشارات والاستنتاجات ،وكذلك في قصائد ابي نؤاس الثلاث . والجزء الاخير من الفصل السادس ، الذي يتناول فيه البنية الايقاعية في قصيدة ادونيس ، هو تكرار لما درسه يتوسع في الفصل الثالث . الذي حلل فيه ظاهرة الابدال في البحور .

٤ ـ في مطلع الفصل الاخير يشير الى ان دراسته هذه تتخذ اربع قصائد نقطة انطلاق لها ، هي اضافة لقصيدة ادونيس قصائد كل من ، ييتس «Yeats» ولشاعر اليوناني كفافي «Cavafi» . وعبدالوهاب البياتي ،بينما لانجد اية اشارة الى هذه القصائد سوى قصيدة ادونيس .

٥ ـ اضافة الى ملاحظة اخرى هي ان الكتاب كماجاء في العنوان هو دراسة بنيوية في الشعر ، بينما احتوى متنه على دراسات تناولت الحكاية والقصة القصيرة ، وربما يرجع ذلك الى حرص الموءلف على تعميم منهجه وتطبيقه على اكثر من نوع ابداعي.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com